مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية بمكة المكرمة

مجلة
مجمع اللغة العربية
على الشبكة العالمية

السنة السابعة

العدد العشرون، ذو القعدة ١٤٤٠هـ

يوليو (تموز) ٢٠١٩م

مجلة علميّة، محكَّمة، تُعنى بنشر البحوث والدّراسات في اللّغةِ العربية، ونشرِ قرارات المجمع وآرائه وتنبيهاته ومقالاته وأخباره.

(تصدرُ مرةً كلَّ أربعة أشهر)

(٥)

التماسك النصي في قصيدة "سوق القرية" لعبد الوهاب البياتي

د. هبة مصطفى جابر

- أستاذ مساعد، في جامعة الحدود الشمالية – كلية اللغة العربية وآدابها (عرعر).
- دكتوراه من الجامعة الأردنية في الأدب القديم، عام ٢٠١١م.

التماسك النصي في قصيدة "سوق القرية" لعبد الوهاب البياتي[1].

الملخص

تسعى هذه الدراسة إلى توضيح الأدوات التماسكية وإظهارها وتسليط الضوء عليها، بما يتعلق بنص عبد الوهاب البياتي الشعري "سوق القرية" ويتناسب معه، وهي الأدوات التي تحققت بها نصية النص، أي أصبحت القصيدة بوجودها نصًّا متماسكًا من الناحيتين اللغوية الشكلية والدلالية، على مستوى النص كله.

والدراسة، بالارتكاز على تلك الأدوات، فإنها تهدف إلى نقض المقولات الخاصة بتفكك القصيدة وتشظي أسطرها الشعرية، وكذلك، تسعى الدراسة إلى إبراز الخصائص النصية لشعر البياتي على مستوى الخطاب كلًّا، ومن وجهة نظر اللسانيات النصية بمدارسها وتياراتها المختلفة، وما فيها من خصائص تعنى بالنص الشعري بوجود الأدوات التي تحدد مدى التماسك فيه.

وبذلك، فإن الدراسة تسعى إلى اختبار الكفايتين الوصفية والتفسيرية لعدد من النظريات النحوية النصية، وتركز على إبراز طبيعة التباين بين النصوص الشعرية الجمالية، والنصوص العامة الوظيفية من جهة التماسك على مستوى الخطاب كلًّا لا على مستوى الجملة الواحدة فيه.

الكلمات المفتاحية:

التماسك، البياتي، النص، القصيدة، علم اللغة.

(١) هذا البحث مدعوم من جامعة الحدود الشمالية – عرعر – السعودية.

Cohesion in "the Village Market" Poem for Abdul Wahab al-Bayyati

D.Heba Mustafa Jaber.

Assistant Professor.

Email: haboushja2003@yahoo.com

Adress: Northern Boarder University -Arar- Soudia Arabia.

Abstract

The researcher seeks to prove that the poem is coherent regardless the claims of lacking cohesion of the text. The study also seeks to identify the textual traits in al-Bayyati poetry according to textual linguistics and its varied schools.

This study aims at clarifying elements of cohesion in this poem "the Village Market"; those elements which achieved textuallity and created a coherent poem on the semantic and linguistic levels.

The study investigates the descriptive and interpretive Adequacy of some textual and syntactic theories. It also differentiates between the poetic text and the general text as for cohesion of the entire discourse rather than the lone sentence.

Key words: Cohesion, Bayyati, Text, Poem, Liguistics.

المقدمة:

يُعنى التماسك النصي بوظيفة أساسية ترتكز على وجود جمل متلاحقة في النص، بحيث تعمل الواحدة منها على إيجاد التلاحم بين أجزاء النص إذا ما هي ضمت إلى بعضها البعض ضمن منظومة متواترة مترابطة قوامها النص ذاته، فيظهر النص متعالقًا متماسكًا ضمن بناء سوِي يدعمه ذلك التعالق، ويؤكده.

وعليه، فقد جاءت هذه الدراسة لتتبنى فكرة التماسك النصي وتعالجه في قصيدة سوق القرية للشاعر العراقي عبد الوهاب البياتي، بهدف تتبع أدوات التماسك النصي الواردة فيها للبرهنة على أن هذه القصيدة غير مفككة كما هو الظاهر من قراءتها للوهلة الأولى، بل إنها تشتمل على العديد من أدوات التماسك الخاصة بالنص، بحيث يمكن إخضاعها للدرس اللساني اللغوي الخاص بأدوات التماسك والتلاحم القائمة في النصوص على حد سواء، مما يعني إثبات الترابط فيها.

ولذا، تسعى الدراسة في مجملها إلى إبراز هذه الأدوات التي استند إليها عبد الوهاب البياتي ليحقق مبدأ التماسك النصي في قصيدته الموسومة بـ "سوق القرية"، وهذا يعني أن هذه الأدوات تعد بمثابة سمات أسلوبية تميز نص البياتي عن غيره من النصوص الشعرية، مما يعني وجود ترابط بين ما يسمى بالنحوي (التماسك)، وما هو بلاغي (الأسلوب)، يجتمعان ليكملا أساس الدراسة القائمة عليهما.

التماسك النصي: حدود المصطلح والمفهوم.

يجيء مصطلح التماسك النصي كغيره من المصطلحات التي تُعنى بدراسة النص وتماسكه، وأحد المصطلحات العربية الذي يقابله بالإنجليزية المصطلح (Cohesion)[1]، وقد تعدد الترجمات التي حُصدت في سبيل تعريب هذا المصطلح من مثل: الانسجام، والاتساق، والربط، والسبك، لكن الدراسة تبنت مصطلح التماسك النصي ونسجت في ظله جل العلاقة القائمة بين مفردات البياتي في قصيدته، للبرهنة من خلالها على وجود ترابط متكامل فيها، ونفي فكرة التفكك التي اتهمت بها تلك القصيدة.

وأما أسباب اختيار مصطلح "التماسك النصي" فمرده لأسباب عدة لعل أهمها أنه المصطلح الأكثر استعمالًا وتداولًا، حيث يدل التماسك على جانب مادي غير معنوي، ويتحقق هذا الأمر في المفهوم الذي تبتغيه الدراسة وتسعى له، إذ هي تبحث في التماسك المادي (الشكلي أو اللفظي)، (Cohesion)، وهو بذلك يختلف عن التماسك السياقي وهو كذلك يختلف عن النحوي التركيبي، ووفق ما هو مفهوم وموضح من المصطلح الأجنبي (Coherence).

وأما لازمة الصفة (النصي)، فإن الدراسة ترى ضرورة ورودها للفظة التماسك؛ لأن التماسك الشكلي اللغوي قد يكون على مستوى الجملة الواحدة، وهو تماسك لا تتبناه الدراسة ولا تسعى لإثباته أو معالجته، وإنما هي

(١) الخولي، محمد علي، **معجم علم اللغة النظري**، ط١، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٨٦م، ص٤٥.

تسعى إلى تناول التماسك حيث يكون على مستوى النص، ومن ثم جاء الاصطلاح "التماسك النصي"؛ تمييزًا له عن غير النصي.

وأما التماسك النصي في المفهوم، فإنه بحسب الدراسات اللغوية العربية يشير إلى تلك الأدوات النحوية والمعجمية التي تعمل على جعل الجمل داخل نص ما مترابطة متعالقة(١)، مما يعني أن يكون النص أو الخطاب وحدة واحدة متماسكة سطحيًّا أو لغويًّا أو شكليًّا، تؤدي المعنى الخاص بالنص ضمن تلك الأدوات مجتمعة.

وعلى ضوء ذلك، فإن التماسك النصي غير الانسجام، فإذا كان التماسك يؤشر على تلك الروابط اللغوية الشكلية في خطاب ما، فإن الانسجام يذهب نحو الروابط الدلالية(٢)، ويقصد بهذه الروابط هو كل ما يتصل بموضوع السياق غير اللغوي من إحالات مقامية، ومستقبلين ونسق تاريخي أو اجتماعي(٣).

وقد أثار كل من مفهومي التماسك والانسجام جدلًا كبيرًا وحوارًا طويلًا بين الباحثين الغربيين، من حيث دورهما في صناعة النص وإبراز نصيته، وبمعنى آخر كان الحوار يتجه نحو تحديد الأدوات التي بها يتميز النص عن غير النص(٤)، فالباحثون في بدايات نشأة الدرس اللساني النصي (نحو النص)، اتجهت آراؤهم

(١) الخطابي، محمد، **لسانيات النص، مدخل إلى انسجام النص**، ط١، لبنان، المركز الثقافي العربي، ١٩٩١م، ص٥.

(٢) المرجع السابق، ص٦.

(٣) أبو عيد، محمد، **تطور أدوات الاتساق النحوي والمعجمي في الخطاب الشعري العربي، عبد الوهاب البياتي نموذجًا**، رسالة دكتوراه، الأردن، جامعة اليرموك، ٢٠٠٢م، ص٩.

(٤) الخطابي، **لسانيات النص**، ص١٢.

نحو التماسك بوصفه العامل الرئيس في تمييز النصوص عن غيرها[١]، لكنهم راحوا في مراحل متقدمة من دراستهم حول المصطلح إلى عدم التعويل على التماسك وحده في تحقيق النصية، بل ذكروا عوامل أخرى منها الانسجام[٢]، ومنها التناص وسياق الحال[٣].

وهذا يعني، أن هناك خلافًا كبيرًا بين الباحثين أنفسهم حول طبيعة الدور المنوط بالتماسك، فهل هو الأداة الرئيسية في بناء النص أم أنه يشترك مع عوامل أخرى في الإسهام بهذا البناء. بل التساؤل يمتد للنقاش حول إمكانية بناء نص ما والتعامل معه على أنه وحدة متكاملة (خطاب)، دون أن يشتمل النص على أيٍّ من أدوات التماسك النصي، ومثالنا على ذلك ما طرحه براون ويول من خطاب مثل وحدة متكاملة دون أن تظهر فيه أي من أدوات التماسك النصي[٤]. (متاظرة أبستيمية "الثلاثاء"، ٣ يونيو، ستيف هارلوا، شعبة اللسانيات، جامعة يورك)

يحمل النص السابق عددًا من الوحدات الجملية المترابطة، ليغدو معها واضحًا في هدفه الذي ينحصر في إيصال رسالة إلى المتلقي، لكن هذا النص لا ينطوي على أيٍّ من أدوات التماسك النصي.

(١) خليل، إبراهيم، **الأسلوبية ونظرية النص**، ط١، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٧م، ص١٣٦.

(٢) انظر، بحيري، سعيد، **علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات**، ط١، القاهرة، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م، ص٢٢٢.

(٣) الزناد، الأزهر، **نسيج النص، بحث فيما يكون به الملفوظ نصًّا**، ط١، بيروت، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٧م، ص١٢٩.

(٤) الخطابي، **لسانيات النص**، ص٥١.

من جهة أخرى، فإن التماسك النصي بمفهومه الحديث يختلف عن التماسك النحوي بالمفهوم التقليدي، حيث إن الحذف والإحالة والوصل جرى التحدث عنها في الدرس النحوي القديم، لكنها وصفت على أنها أدوات تنشئ التعالق والترابط بين عناصر الجملة الواحدة(١)، في حين أن هذه الأدوات في لسانيات النص يتم التعامل معها فقط حين تكون روابط بين الجمل لا داخل الجملة الواحدة. وبذلك، فإنه خلافًا لعمل النحويين العرب لن يجري التتبع لهذه الأدوات النحوية في النص المدروس إلا إذا كانت ستحقق التعالق بين الجمل، أما إن كانت قد ظهرت داخل الجملة الواحدة فلن يلتفت إليها؛ لأنها بذلك لن تكون أدوات تماسك نصي بل مجرد أداة تماسك تركيبي.

وأما التكرار والتلازم بين الكلمات الثنائية، فبوصفهما ضمن أدوات التماسك المعجمي، فهذا يعني أنهما في حالة تخالف أيضًا تلك الحالة التي كانا عليها في التراث اللغوي العربي، فالتكرار حمِّل عند اللغويين العرب والبلاغيين معان كثيرة منها تأكيد المعنى(٢)، ومنها الدلالة الموسيقية(٣).

أما ما يتم التحدث عنه هنا من تكرار فإن وظيفته تتأتى من قدرته على إحداث التماسك النصي، إذ الكلمة أو الجملة المكررة تحيل إلى ما قبلها من

(١) حماسة، محمد، **بناء الجملة العربية**، ط١، القاهرة، دار الشروق، ١٩٩٦م، ص٨٢.

(٢) الكبيسي، عمران، **لغة الشعر العراقي المعاصر**، ط١، الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٨٢م، ص١٨٠.

(٣) شيخون، محمد السيد، **أسرار التكرار في لغة القرآن**، ط١، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٨٣م، ص٢١-٣١.

كلمات وجمل، وعليه يصبح التكرار ضربًا من الإحالة[١]، لكنها هنا إحالة معجمية.

وأما ثنائية التلازم بين الكلمات، فكان النظر إليها أيضًا بوصفها مظهرًا معجميًّا ودلاليًّا يُبحث في فقه اللغة لا في نحو النص، أما في الدراسة الحالية فالاهتمام بها يأتي بوصفه أيضًا كالتكرار ينطوي على إحالة معجمية[٢]، فلفظ السيف إذا ما ورد في نص ما، فإنه قد يحيل إلى لفظ الحسام، إذا ما ورد الحسام في النص ذاته.

وأما الوصل، فإنه بمفهومه اللساني النصي يختلف عما بحث عنه البلاغيون العرب في مبحثهم المعروف: "الفصل والوصل"، فالوصل عندهم يرد في الجمل التي لا محل لها من الإعراب[٣]، في حين أن الوصل في هذه الدراسة كما في كل الدراسات النحوية النصية إنما يقوم على مبدأ الجمع بين جميع الجمل في النص الواحد بغض النظر عن المحل الإعرابي.

تخلص الدراسة من العرض النظري السابق، إلى أن التماسك النصي مغاير لما ورد الحديث عنه من تماسك في التراث النحوي والبلاغي العربي، وللأدوات التماسكية في نحو النص مفهوم مغاير لذلك المفهوم الذي يجيء عليه في التراث اللغوي، وتخلص الدراسة كذلك الأمر إلى أن التماسك يبقى مظهرًا لغويًّا شكليًّا

(١) حسان، تمام، **البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني**، ط١، القاهرة، عالم الكتب،١٩٩٢م، ص١٠٩.

(2)Brown And Yule**, Discourse Analysis**, Cambridge University Press, 1983, P194.

(٣) علام، عبد الواحد، **القاعدة والنص، دراسة في الفصل والوصل**، ط١، القاهرة، دار الثقافة العربية، ١٩٨٧م، ص٣٥.

مهمًّا يسهم في جعل النص أكثر تماسكًا ويبعده عن حالة التشظي المفترضة، وهو بذلك يمكن أن ينظر إليه بوصفه سمة أسلوبية تميز نصًّا عن آخر، بل تميز شاعرًا أو أدبًا عن غيره، ولعل هذه السمة الأسلوبية تكون من الثمار التي نقطفها عند معاينة النصوص من وجهة نظر نحوية نصية (لسانيات النص).

وتركز الدراسة على تأكيد فكر الدمج بين ما هو نحوي نصي، وما هو أسلوبي بلاغي؛ ليكون العمل فيها يعتمد اعتمادًا كليًّا على "نحو النص وبلاغته"، على أن الالتفات المركزي في الجانب البلاغي يأتي في سياق الحديث عن الأدوات التماسكية النصية بوصفها وحدات أسلوبية بلاغية، مما يعني تشكيل تعاضد مع الوحدات النحوية التي ستشغل هيكلة القصيدة كاملة.

وعليه، فإن الدراسة ستعمل على إبراز أدوات التماسك النصي ودراستها كما جاءت في سوق القرية للبياتي، علمًا بأن البدء سيكون بالتماسك النحوي، ثم التماسك المعجمي، ثم الاستخلاص النهائي.

وأما القصيدة كاملة، فهي على النحو الآتي:

الشمس، والحمر الهزيلة، والذباب

وحذاء جنديٍّ قديم

يتداول الأيدي، وفلاح يحدِّقُ في الفراغ:

"في مطلع العام الجديد

يداي تمتلئان حتما بالنقود

وسأشتري هذا الحذاء"

وصياح ديكٍ فرّ من قفص، وقديس صغيرْ:

"ما حك جلدك مثل ظفرك"

و "الطريق إلى الجحيمْ

من جنة الفردوس "أقرب" والذباب

والحاصدون المتعبون:

"زرعوا، ولم نأكلْ

ونزرع، صاغرين، فيأكلون"

والعائدون من المدينة: يا لها وحشا ضرير

صرعاه موتانا، وأجسادُ النساء

و"الحالمون الطيبون"

وخوار أبقار، وبائعة الأساور والعطور

كالخنفساء تدب: "قبرتي العزيزة" يا سدوم!

لن يصلح العطار ما قد أفسد الدهر الغشوم

وبنادق سود ومحراث، ونار

تخبو، وحداد يراود جفنه الدامي النعاس:

"أبدًا، على أشكالها تقع الطيور

والبحر لا يقوى على غسيل الخطايا، والدموع"

والشمس في كبد السماء

وبائعات الكرم يجمعن السلال:

"عينا حبيبي كوكبان

وصدره ورد الربيع"

والسوق يقفزُ، والحوانيت الصغيرة والذباب

يصطاده الأطفال، والأفق البعيد

وتثاؤب الأكواخ في غاب النخيل

التماسك النحوي في سوق القرية:

يأتي التماسك النحوي في قصيدة سوق القرية متضمنًا عناصر ثلاثة، يسهم وجودها في تأكيد التماسك النصي على مستوى القصيدة كلها، حيث تمثلت هذه العناصر بوجود: الحذف، والإحالات النصية، والوصل، إذ يتبين عند قراءة القصيدة، كيف أنها تؤدي باجتماعها إلى تحقيق التماسك النحوي، الذي يسهم في جعل القصيدة ذات نسق شعوري يميزها عن غيرها من القصائد، بل ويثبت تماسكها، مما ينتفي معه أن تكون هذه القصيدة مفككة، فكانت هذه العناصر على النحو الآتي:

١. الحذف:

يجيء الحذف محصورًا بين جزأين اثنين هما: العتبة النصية (العنوان) من جهة، ومجموعة أسطر شعرية في القصيدة تكاد تمثل ذلك التماسك النحوي من جهة أخرى، ولعل تركيز الشاعر في ذلك التماسك أتاح للنص الشعري أن يفرز حذفًا من شأنه تمكين القارئ من مشاركة الشاعر في نصه، وتتبع الإيحاءات المتناثرة على مستوى القصيدة كلًّا، ليكون الحذف معها قد أدى وظيفة التماسك النصي في الجمل التي يؤدي اجتماعها إلى التماسك كله.

ويرتهن وجود التماسك النحوي في قصيدة البياتي بوجود خاصية الحذف، بوصفها "انحرافًا عن المستوى التعبيري العادي"[(١)]، فتعمل على إيجاد بعد تحفيزي يزيد من جمالية الكلمات الشعرية في نصه، ويأتي العنوان ملهمًا أولًا لذلك

(١) بوقرة، نعمان، **المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية**، ط١، الأردن، جدارا للكتاب العالمي، ٢٠٠٩م، ص١٠٦.

التحفيز، وذلك من خلال مقدرة القارئ على إيجاد تأويل يتناسب مع الحذف الموجود، سواء في العتبة النصية الممثلة بعنوان القصيدة (سوق القرية)، أو في أي بيت شعري منها.

ويُعنى الحذف بتكثيف المعنى من خلال انفتاحه على تأويلات متعددة، وكلما كان النصي الشعري قادرًا على إخفاء أسراره عن متلقيه، فإن ذلك يزيد من تحفيز المتلقي ذاته على تتبع التأويلات في النص، والحذف بـ "مخالفته الأصل، يوجب نكته باعثة عليه، معتدًّا بها؛ أعرف وأقوى في اقتضاء المعاني الزائدة، على المعنى الأصلي، التي هي مقصودة في علم المعاني"(١)، أي أن الحذف تزداد أهميته بمقدار ما يحمله من تأويلات في النص، وما يخبئه من تكهنات تفضي إلى علاقة تشاركية بين الشاعر والقارئ لذلك النص.

وتمنح العتبة النصية بوجود الحذف فسحة تأويلية بدلًا من التفسيرية التي ترتبط بالمعنى فحسب، فعنوان القصيدة "سوق القرية"، يتضمن عدة تأويلات بوجود طرفين هما (سوق/القرية)، واللفظتان تندرجان ضمن الأسماء لا الأفعال والحروف، وهذا يعني أن الحذف يقتضي شيئًا خاصًّا بها وتأويلًا متعددًا كأن نقول: **هذا سوق القرية**، فيكون المحذوف هو اسم الإشارة (هذا) الذي يأتي موقعه الإعرابي مبتدأً، وعلى ذلك تكون لفظة "سوق" خبر لمبتدأ محذوف، وهذا هو التأويل الأول.

(١) الشريف الجرجاني، **الحاشية على المطول، شرح تلخيص مفتاح العلوم (غي علوم البلاغة)**، ط١، لبنان، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧م، ص٨٨.

وأما التأويل الثاني فهو كأن تقول: **ثمة سوق القرية**، فيكون المحذوف هنا هو لفظة ثمة وموقعها الإعرابي خبرًا مقدمًا، أي أنه سد مسد الخبر، وتكون لفظة سوق مبتدأً مؤخرًا، على النحو الآتي:

هذا ← سوق القرية

ثمة← سوق القرية

يعمل الحذف في العنوان السابق على إبراز التعالق النصي، أي إبراز التماسك على المستوى النحوي، ليمتد ذلك التماسك إل القصيدة ذاتها حيث يقول البياتي:

"والبحر لا يقوى على غسل الخطايا والدموع[١].

يتضمن البيت الشعري السابق حذفًا واضحًا، يمكن اعتماد التأويل الآتي له كأن نقول: والبحر لا يقوى على غسل الخطايا/، وكذلك القول: والدموع لا تقوى على غسل الخطايا، أي أن البنية العميقة للجملة الشعرية تلك تتولد عنها بنيتان عميقتان؛ ليكون المحذوف هو المسند والمسند إليه: (البحر= المسند إليه)، (لا يقوى= المسند)، وكذلك الأمر: (الدموع= المسند إليه)، (لا تقوى= المسند)، مما يعني أن ينفتح السطر الشعري على تأويل آخر يسهم الحذف في إظهاره للقارئ.

وهكذا، فإن الشاعر قد اعتمد على خاصية الحذف في البيت السابق باعتبار أن الحذف "لا يورد المنتظر من الألفاظ، ومن ثم يفجر في ذهن المتلقي

(١) البياتي، عبد الوهاب، **الأعمال الشعرية الكاملة**، ط٢، بغداد، دار الحرية للطباعة والنشر، ٢٠٠١م، ص١٠٢.

شحنة توقظ ذهنه، وتجعله يفكر فيما هو مقصود"[1]، أي أنه يسهم في جعل القارئ طرفًا آخر في تأويل المحذوف من النص الشعري ذاته، ويجذبه لفكرة التأويل لذلك المحذوف الذي تعمّد الشاعر إخفاء الأساسي من أجزائه، فيكون ذلك الجذب تأكيدًا لفكرة التماسك بين الجملتين المؤوّلَتيْن.

ولم تكن تلك هي الحالة الوحيدة التي يظهر فيها الحذف النحوي في النص إلى جانب العتبة النصية التي تشارك في إتمام التماسك النحوي، بالاتكاء على الحذف ذاته، ذلك أن الحذف هنا معنيٌّ بوصفه محدثًا للتماسك النصي ورابطًا لا على مستوى التركيب، بل على مستوى التماسك بين الجمل.

ويمكن إيراد مواضع أخرى في القصيدة ظهر فيها الحذف مع إمكانية تأويله من المتلقي، في مثل قول الشاعر:

"والطريق إلى الجحيم

من جنة الفردوس أقرب والذباب"[2].

في السطر الشعري السابق، يمكن تأويل المحذوف في لفظة الذباب، بتكثيف المعنى من خلال استرجاع المحذوف وهو المسند لتكون الجملة هي: (الذباب أقرب)، وكأن الشاعر هنا قد ترك للقارئ حرية التأويل لذلك المحذوف، حيث يبقي على المسند إليه ويحذف المسند، فكما أن طريق الفقر والبؤس أقرب من طريق الخير والأمل، فإن الذباب أقرب لذلك المشهد التعبيري التأويلي أيضًا.

(١) بوقرة، **معجم المصطلحات**، ص١٠٦.

(٢) البياتي، الأعمال الشعرية الكاملة، ص١٠١.

ويستمر الترابط النصي بتكرار حرف الواو الذي يتجاور نصيًّا مع الخبر المحذوف في جملة: (والحاصدون المتعبون: زرعوا، فتأويل الخبر المحذوف هنا هو (يقولون)، بدلالة النقطتين الرأسيتين التي تعد إشارة نصية إلى المحذوف، وتستمر هذه الدلالة على الخبر المحذوف في قول الشاعر: (والعائدون من المدينة: يا لها وحشًا)، فتأتي الإشارة إلى الخبر المحذوف الذي يمكن تأويله بلفظة (يصرخون أو يندهشون أو يتعجبون أو يتأوهون)؛ ليدل على مشهد حواري يُكسب النص الشعري فاعليّة ديناميكيّة، لا يمكن وصل أجزائها إلا بدلالة الواو العاطفة والخبر المحذوف نصيًّا.

وتستمر آلية الحذف تنحت في جسد القصيدة، وتملأ فراغات النص الشعري بتأويلات متنوعة، تعتمد في مجملها على القارئ الحذق الذي يشارك الشاعر في تذوق النص الشعري، ومن ذلك قول البياتي:

"زرعوا، ولم نأكل

ونزرع، صاغرين، فيأكلون"(١).

يعتمد السطران الشعريان السابقان على الحذف ليحدث تماسكًا نحويًّا فيها، فيكون التأويل على النحو الآتي:

زرعوا← المحصول/الحبّ، ولم نأكل← المحصول /الحبّ

ونزرع← المحصول /الحبّ، صاغرين، فيأكلون← المحصول/الحبّ، فيأكلون← متكبرين

(١) المرجع السابق، ص١٠١.

تتكئ الأسطر الشعرية السابقة على خاصية الحذف؛ لتنبئ عن وجود آفاق تأويلية قد تسمح بإيراد تفسيرات ترتبط بالمعنى الخاص بها، وهي هنا تظهر من خلال الحذف على مستوى الجملة الفعلية التي تؤكد بوجود الحذف فيها أنها تكمل التماسك النحوي في القصيدة، فالمحذوفات في الأسطر الشعرية السابقة تعتمد على المفعول به الذي تم حذفه، وبقيت لوازمه وهي الفعل والفاعل، فيكون القارئ هنا قد استمد التأويل من خلال القراءة الفاعلة للسطر الشعري، ذلك أن الحذف لا يتأتى وجوده إلّا بدليل عليه، فقد "حذفت العرب الجملة، والمفرد، والحرف، والحركة. وليس شيء من ذلك إلّا عن دليل عليه"(١)؛ إذ إن وجود دليل على ذلك الحذف قد يسد مكان اللفظة المحذوفة، وهو ما ورد في الأسطر الشعرية السابقة فالمفعول به المحذوف، دل عليه كل من الفعل والفاعل، وكذلك الأمر في الحال (نزرع← صاغرين/يأكلون← متكبرين) فكان سبب الحذف هو تعزيز فكرة الحرمان، وتأكيد الحالة الشعورية البائسة متضمنة مشاهد الظلم وتحكم القوي بالضعيف.

ويواصل الشاعر تسليط الضوء على مواطن التشاؤم التي تناثرت في الأسطر الشعرية، باعتماده على الحذف متخذًا منه أداة تعزز المشهد الشعري، حيث يقول:

"السوق يقفر، والحوانيت الصغيرة والذباب

(١) ابن جني، أبي الفتح عثمان بن جني (المتوفى٣٩٢هـ)، **الخصائص**، ج٢، ط١، تحقيق: محمد علي النجار، مصر، دار الكتب المصرية، ١٩٥٧م، ص٣٦٠.

يصطاده الأطفال، والأفق البعيد"[1].

يلحظ القارئ للسطرين الشعريين السابقين، أنهما يمثلان مشهدًا باهتًا حزينًا، تجيء خاصية الحذف لتتزيد من البعد الدلالي فيها من خلال التماسك النحوي الذي تحدثه، ذلك إذا ما افترضنا الألفاظ المحذوفة في مكانها المناسب لها كأن نقول:

الحوانيت الصغيرة← تقفل /تغلق

والأفق البعيد← يغيب/يختفي.

يمكن التكهن بألفاظ محذوفة، بغية التعمق في النص الشعري، ولزيادة الفسحة التأويلية التي تعمق الفكرة وتقويها، فالمشهد السابق ساكن لا حركة فيه، يومئ بالنهاية، سواء نهاية الحدث أو نهاية اليوم، ويرمز إلى بعض خصائص المكان؛ فالسوق مقفر والحوانيت صغيرة دلالة على ضيق العيش وبساطته، والذباب حشرة يلهو بها الأطفال ويحاولون اصطيادها وفي ذلك دلالة على براءة الطفولة التي لم تجد إلا الذباب لتلهو به وتجد معه بديلًا تعويضيًّا عن اللهو الخاص بالأطفال ذاتهم، بما يناسبهم ويناسب طفولتهم، والأفق البعيد يغيب، دلالة على أن الأحلام بعيدة رغم تجددها اليومي، وهي غير متكافئة مع تلك المساحة الصغيرة التي تجمع الحوانيت والذباب والأطفال، فيكون الحذف قد غذّى المعنى بالارتكاز على الأفعال المضارعة الدالة على الحركة والتجدد، رغم ضنك العيش وبؤسه.

(١) البياتي، **الديوان**، ص١٠٢.

٢. الإحالات النصية:

تسهم الإحالات النصية في خلق التماسك النحوي على مستوى الأسطر الشعرية في سوق القرية، ذلك أن الإحالة تتحدد في أنها تعني "استخدام الضمير ليعود على اسم سابق أو لاحق له بدلًا من تكرار الاسم نفسه"(١)، وقد ظهرت في مواضع محددة كقول البياتي:

"وفلاح يحدق في الفراغ

في مطلع العام الجديد

يداي تمتلئان حتمًا بالنقود

وسأشتري هذا الحذاء"(٢).

تتضمن الأبيات السابقة إحالات نصية تندرج ضمن مسمى (أداة التماسك النحوي)، وهي تظهر على النحو الآتي:

الياء في← (يداي)

أنا في ← (سأشتري)

تحيل الضمائر السابقة إلى الفلاح ذاته وتأكيد ذلك السطر الشعري (فلاح يحدق في الفراغ)؛ فيكون الربط بين الجمل الثلاث متماسكًا كأن نقول:

فلاح يحدق في الفراغ + يداي تمتلئان بالنقود + سأشتري هذا الحذاء.

---

(١) بوقرة، نعمان، **المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية**، ص٨١.

(٢) البياتي، **الأعمال الشعرية الكاملة**، ص١٠١.

فيكون الشاعر قد أنجز أسطرًا شعرية متماسكة تحيل إلى بعضها البعض، ويرتبط بعض منها بالآخر، مؤدية المعنى التام لوجودها في النص الشعري ذاته، بوجود الإحالة التي ترتد بالقارئ للفكرة الأساسية في القصيدة في كل مرة يصادف فيها رمزًا إحاليًّا، ليرسم تلك النظرة التأملية التي تومئ باستشراف المستقبل، فرغم تحديق الفلاح في الفراغ اللاشيء واللا معنى، إلا أنه لديه أملٌ بأن تمتلئ يداه بالنقود، وأن تتبدل حاله بأفضل منها مستقبلًا، وأن ما كان ممنوعًا مرغوبًا سيصبح في متناول يديه.

وكذلك الأمر، في موضع آخر من القصيدة حيث يقول البياتي:

"والحاصدون المتعبون

زرعوا، ولم نأكل

ونزرع، صاغرين، فيأكلون"(١).

يلحظ القارئ للأسطر الشعرية السابقة، كيف تتوزع الإحالة بحيث تشحن النص الشعري بشيء من التواؤم والانسجام؛ إذ إنها تعمل على "إنشاء التماسك الدلالي للنص؛ إذ إن شيوع صيغ الإحالة الممكن تحديدها في كل نص تبرر أن الإحالة تشغل ضمن العناصر المؤثرة في تماسك النص مكانًا بارزًا"(٢)، وينعكس ذلك على القصيدة بتتبع العناصر الإحالية فيها، كتتبع الضمائر المستترة مثلًا في (نأكل= نحن)، وكذلك (نزرع= نحن)، وفي (صاغرين= نحن)، فتكون هذه

(١) البياتي، **الأعمال الشعرية الكاملة**، ص١٠١.

(٢) بحيري، سعيد حسن، **دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة**، ط١، القاهرة، مكتبة الآداب، ٢٠٠٥م، ص١٠٧.

الضمائر الثلاثة محيلة إلى (الحاصدون المتعبون)، مما يعني وجود تماسك في نسيج النص ذاته، حققته وأكدته الضمائر التي وجدت على تلك الصورة تحديدًا، فيكون الربط من خلال الضمائر قد أفرز نوعًا من التماسك على مستوى الأسطر الشعرية التي وُجدت فيها، وكأنها ترتسم بشكل يوجِد الجزء من الكل، ثم يحيل عليه، كأن تكون:

(الحاصدون المتعبون "نأكل+ نزرع+ صاغرين")، بحيث تتجمع كل تلك الإحالات الخاصة بالضمائر المستترة، وترتد بمجموعها للسطر الشعري الذي توالدت منه (الحاصدون المتعبون)، فيكون النص الشعري بوجودها قد تحققت فيه مظاهر الاتساق والتماسك؛ حيث يوظف البياتي الإحالات الضميرية ليستنطق نصه للقارئ، ويشركه في لوحته الشعرية التي تتضمن مظاهر البؤس والقلق اليومي في ذلك السوق.

وكذلك في قوله:

"والعائدون من المدينة: يا لها وحشًا ضرير

صرعاه موتانا، وأجساد النساء"(١).

يكشف السطران الشعريان السابقان عن قدرة القصيدة على تحقيق مبدأ الترابط النصي من خلال الإحالات الضميرية التي تلعب دورًا مهمًا في تحقيق ذلك الترابط والانسجام. فالضمير الهاء في (لها) إنما يحيل إلى المدينة ويعود عليها، وكذلك الضمير الهاء في (صرعاه) يحيل إلى الوحش، ويربط هذه الجملة بالتي سبقتها، ليجيء الضمير نا في (موتانا)، فيعمل على ربط النص من نهايته

(١) البياتي، **الأعمال الشعرية الكاملة**، ص١٠١.

إلى بدايته، فيحيل على (العائدون من المدينة)، وتكون الإحالة بالضمائر قد تحققت من خلال (لها← المدينة+ صرعاه← الوحش+ موتانا← العائدون من المدينة).

٣. الوصل:

يعمل الوصل كالحذف والإحالة على تحقيق التماسك النحوي في النص بوصفه أداة اتساقية، حيث يربط بين الجمل بشكل منتظم منسجم، فيظهر النص الشعري على ضوء ذلك وكأنه مكون من "جمل أو متتاليات متعاقبة خطيًّا، ولكي تدرك كوحدة متماسكة تحتاج إلى عناصر رابطة"(١)، من خلال أدوات الربط التي تندرج ضمنه، لعل من أهمها وأبرزها واو العطف التي تؤدي إلى الربط بين الجمل داخل النص، وتسهم في إنشاء علاقات تعالقية بينها؛ إذ إنها تجعل من تلك الجمل المتلاحقة متماسكة مترابطة، تشد القارئ وتعيده إلى الفكرة الأساسية فيصبح جزءًا من كينونة النص، من خلال تلك الجمل المعطوفة كمًّا ونوعًا.

ويجد القارئ لقصيدة البياتي "سوق القرية"، توزع أداة الربط الواو على نحو يحقق التماسك النحوي، ويجعل من القصيدة بناء متكاملًا، حيث يعتمد البياتي على الواو العطفية ليحقق من خلالها رؤيته، وليجعل قارئه في حالة انسجام وتواؤم مع نصه الشعري، الذي يبث من خلاله فكرته القائمة على رصد ملامح الحياة في ذلك السوق، ومن أمثلة الوصل قوله:

"الشمس، والحمر الهزيلة، والذباب

(١) خطابي، **لسانيات النص**، ص٢٣.

وحذاء جندي قديم

وفلاح يحدق في السماء

وصياح ديك فر من قفص"[١].

يلحظ القارئ لقصيدة سوق القرية كيف يعتمد البياتي على واو العطف اعتمادًا واضحًا؛ لينسج بواسطتها تماسكًا نحويًّا يغني عن افتقار القصيدة لباقي عناصر التماسك الأخرى، فإذا كان الحذف الإحالة قد تناثرا بشكل قليل في القصيدة، فإن العطف هنا بوجود الواو أدى إلى إحداث ترابط ملحوظ، ذلك أن الواو تمكنت من امتلاك مساحة واضحة في النص البياتي، يسد مسد النقص في باقي العناصر الأخرى؛ لتنجح تلك الأداة في رصد ملامح التماسك النحوي، لبديل تعويضي عن باقي العناصر التماسكية الأخرى، فتكون الأداة الوصلية المركزية (الواو)، هي الأداة الناجحة في خلق البناء النصي المتماسك في القصيدة كلها.

ولا يقتصر الأمر على الأسطر الشعرية السابقة، فقد تناثرت الواو الوصلية في جل القصيدة من مثل قوله: (وخوار أبقار، وبائعة الأساور، والعطور، وبنادق، ومحراث، ونار، وحداد يراود، وبائعات الكرم، وصدره ورد، والأفق البعيد، وتثاؤب الأكواخ)[٢]، وكلها تشير إلى الرابط اللفظي (الواو) الذي يوصف على أنه أداة تعمل على الربط بين الأحداث داخل النص[٣]، وكأنه

(١) البياتي، **الأعمال الشعرية الكاملة**، ص١٠١.

(٢) المرجع السابق، ص١٠١-١٠٢.

(٣) انظر، شبل، عزة، **علم لغة النص**، ط٩، القاهرة، مكتبة الآداب، ٢٠٠٢م ص١٦٥.

نسق عام في القصيدة، لا يصح تماسكها إلا بوجوده هو، خاصة أن الشاعر قد راوح في استخدام الواو بين عطف كلمة على كلمة تارة، وعطف جملة على جملة تارة أخرى.

التماسك المعجمي في سوق القرية:

تمثل عناصر التماسك المعجمي علامات دالة على وجود التماسك النصي في قصيدة سوق القرية إلى جانب عناصر التماسك النحوي، فيتحقق معها التماسك بوجود العناصر التي تمثلها، مع اختلاف اعتماد كل جزء منها على خصائص تختلف عن الجزء الآخر؛ "فعماد الأولى النظام النحوي وعماد الاتساق المعجمي المعجم وما يقوم بين وحداته من العلاقات[(١)]، كذلك الأمر، فإن "الاشتغال بالقضايا الدلالية انعكس في دقة بناء المكون النحوي في المقام الأول، وترجع ميزة ذلك التطور إلى أن التشكيل أو الإعداد النهائي للمكون الدلالي يشترط تشكيلًا كاملًا للمكن النحوي"[(٢)]، وقد تضمنت قصيدة سوق القرية عناصر ثلاثة جاءت على النحو الآتي:

١. الأضداد:

يقصد بالأضداد تلك التقابلات المعجمية العكسية بين المفردات، التي يؤدي وجودها إلى إكساب النص الشعري سمة التماسك بين أجزائه إذا ما تم تتبع الغرض الذي جاءت الكلمة وضدها من أجله في النص ذاته، فتكون عاملة وفاعلة في عملها في النص من خلال ذلك الاكتساب العكسي بين مفردة وأخرى فيؤدي إلى ترابط معجمي على مستوى القصيدة كلها، وكلما زاد ذلك التضاد بين الكلمات كان أكثر فعالية في النص الذي وُضعت فيه، بمعنى أن

(١) شاوش، محمد، أصول **تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تأسيس نحو النص**، ط١، تونس، المؤسسة العربية للتوزيع، ٢٠٠١م، ص١٣٨.

(٢) بحيري، سعيد حسن، **علم اللغة النصي، المفاهيم والاتجاهات**، ط١، القاهرة، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م، ص٢٣١.

"التضاد كلما كان حادًّا (غير متدرج) كان أكثر قدرة على الربط النصي"[١]، أي أن التضاد يكتسب قيمته في النص الشعري كلما زادت حدة الفرق بين الكلمة وعكسها في النص ذاته.

تظهر الأضداد في سوق القرية على النحو الآتي:

- ثنائية (قديم/جديد)

"وحذاء جندي قديم

يتداول الأيدي، وفلاح يحدق في الفراغ:

في مطلع العام الجديد"[٢].

يلحظ القارئ للأسطر الشعرية السابقة كيف تؤدي الأضداد فكرة الربط في النص الشعري؛ فالجديد يذكر بالقديم ويحيل إليه، بل إن اللوحة الشعرية تكتمل صرتها الكلية خلال الجزئيات التي تتوزع فيها، حيث إن الجديد يقابله حتمًا القديم، ويعمد الشاعر هنا لاستخدامه ليحقق الفكرة التي يلح عليها في قصيدته، وهي السعي إلى التغيير وتبديل الحل بأفضل منه، فالقديم لن يبقى كذلك، بل سيختفي ويحل محله الجديد المخالف له تمامًا في المعنى لكنه يكمل الصورة في ذهن الشاعر أولًا، والقارئ ثانيًا.

- ثنائية (لم نأكل/يأكلون)

"زرعوا، لم نأكل

(١) عفيفي، أحمد، نحو النص، **اتجاه جديد في الدرس النحوي**، ط١، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، ٢٠٠١م، ص١١٣.

(٢) البياتي، الأعمال الشعرية الكاملة، ص١٠١.

ونزرع، صاغرين، فيأكلون"(١).

يتضمن المشهد الشعري السابق صورة الظلم والقهر الذي يشهده سوق القرية من خلال الارتداد للماضي والعودة للحاضر، حيث إن الفعل يأكلون يعود بالقارئ إلى الفعل نأكل، فيضعه أمام تضاد معجمي من جهة، وتضاد في المعنى من جهة أخرى؛ فالأجداد الذين زرعوا المحاصيل، لم يتمكن أبناؤهم من التمتع بأكلها، في حين يأكل الغرباء ذلك الزرع، أي أن الشاعر يريد تسليط الضوء على فكرة سلب الحق من أهله، وتمتع الغرباء به بدلًا من أهله الحقيقيين، فهم يزرعونه مذلولين ويأتي المستغلون ويأخذون ذلك الزرع دون أي حق مشروع.

- ثنائية (الفردوس/الجحيم)

"والطريق إلى الجحيم

من جنة الفردوس أقرب والذباب"(٢).

ينبئ المشهد الشعري السابق عن وجود نبرة تشاؤمية، من خلال المفارقة التي ظهرت بوجود التضاد بين كلمتي (فردوس/جحيم)، فالطريق إلى الجحيم في نظر القديس الصغير أقرب من طريق الفردوس، وكأنه هنا يرمز إلى تفوق طريق الشر على طريق الخير، فتكشف كل من لفظتي الفردوس والجحيم عن حجم الحزن والإحباط الذي يلف سوق القرية، إلى جانب التناقض المعجمي بين الفردوس والجحيم، فإذا كانت الفردوس تمثل طريق الأمل والخلاص من كل حزن

(١) المرجع السابق، ص١٠١.

(٢) السابق نفسه، ص١٠١.

وقهر وظلم، فإن الجحيم الذي يدل على عكس دلالة الفردوس هو الذي يسيطر على سوق القرية في نهايته المحسومة، فتكون المسافة التي تصل بطريق الجحيم والهلاك هي الأقرب لواقع القرية من طريق الفردوس والخلاص والراحة، وهو رمز إلى أسلوب رجال الدين الذين يعتمدون في دعواهم على الترهيب، فيزداد القهر قهرًا، ولا يتمكن الضعفاء من التفلت من تلك السيطرة الدينية في المجتمع.

- ثنائية (فلاح/مدينة)

"والعائدون من المدينة: يا لها وحشًا ضرير

صرعاه موتانا، وأجساد النساء"

تعيد لفظة المدينة في السطر الشعري السابق القارئ إلى قول الشاعر:

"وفلاح يحدق في الفراغ"(١).

وهو بذلك، يضع القارئ أمام تضاد لفظي آخر يعمل على ربط النص الشعري من خلال رصد الحالة التي يعيشها الفلاح، ويقابلها مشهد المدينة والعائدون منه، فتكتمل الصورة الشعرية بوجود تلك الثنائية التي يتكئ البياتي عليها في إقامة نصه، فالقرويون يحلمون بالخروج من واقعهم، ومن قريتهم الضيقة التي تحد من طموحاتهم، وتتجه أحلامهم للمدينة التي يشبهها الشاعر بالوحش الضرير الذي يأكل الكل ولا يفرق بين أحد، كما يستعين البياتي بالرمز الأنثوي ليصور من خلاله حال المدينة التي لا تعلي من شأن المرأة ولا تصونها من وجهة نظره فهي مستغلة ومهانة، مما يعني وجود تناقض على مستوى اللفظ والمعنى أيضًا، فكما أن الفلاح في القرية، فهناك المدينة الموسومة بالوحش، فيكون

(١) السابق نفسه، ص١٠١.

المشهد الشعري الذي عناه البياتي غنيًّا بالرموز التي تصف الواقع وصفًا حقيقيًّا، وهو بذلك يحقق الترابط على مستوى النص من خلال الارتداد الدائم للكلمات المتعالقة فيه.

٢. ثنائية الكلمات المتلازمة:

يعتمد نص البياتي على ثنائيات أمكن تقسيمها في باب ثنائية التلازم، ذلك أن التلازم يركز على إيراد ألفاظ تشترك في سياق واحد، وعليه تكون االثنائيات بمثابة "ألفاظ متعددة المعنى وقابلة للتبادل فيما بينها في أي سياق"(١)، أي أن وجودها في النص يشحنه بمدلولات لفظية تتحد وتعطي المعنى التام له.

ومن الثنائيات المتلازمة التي ظهرت في القصيدة:

- ثنائية (الفلاح/القرية)

تحيل لفظة الفلاح في السطر الشعري: "وفلاح يحدق في الفراغ"، إلى العتبة النصية حيث ترتبط في سياقها مع لفظة القرية في: "سوق القرية"، فتكون بمثابة بؤرة مركزية تتمحور حولها الجمل الشعرية في النص، وترتد لها في كل مرة لتبرهن على سمة التماسك فيه؛ فلفظة الفلاح تستدعي وجود القرية كلازمة لفظة تشترك معها في المعنى؛ لأن القرية معنية بوجود الفلاح فيها، بل إنه يأخذ صفات البساطة من صفات العيش في تلك القرية، وهذا يعني أن الثنائية هنا تنجح في إكمال المشهد الشعري الذي جاءت من أجله، فالقرية التي بسوقها المزدحم بالكائنات، لم تكف لتمكن الفلاح بالاستغناء والتوقف عن النظرة المستقبلية

(١) أولمان، ستيفن، **دور الكلمة في اللغة**، ترجمة: كمال محمد بشر، ط١، القاهرة، مكتبة الشباب، ص٩٧.

التي تنتهي هنا في الفراغ، أي محاولة الهروب من ذلك الازدحام إلى الفراغ الذي يدل على اللا شيء عله به ينجح في الهروب من واقعه.

- ثنائية (النعاس/التثاؤب)

ويظهر التلازم هنا في قول البياتي:

"وحداد يراود جفنه الدامي النعاس

وتثاؤب الأكواخ في غاب النخيل"(١).

تعمل كل من لفظتي النعاس في السطر الشعري الأول ولفظة التثاؤب في السطر الشعري الثاني القارئ أمام تناقض في المشهد، لكنه هنا يكسب النص تماسكًا من خلال الربط القائم بين الكلمات؛ فاللوحة الأولى تصور الحالة البائسة التي تعيشها القرية يوميًّا، بما تحمله من تعب وجهد وعمل وقسوة في ظروف الحياة، وكأنها هنا تومئ باستحالة التغيير، واستحالة تبديل الواقع بأفضل منه.

ثم تظهر اللفظة الأخرى في السطر الشعري الآخر لتؤكد نهاية الأشياء، أي أن اليوم قد انتهى بكل ما يحمله من متاعب وقسوة وظلم وألم، وبكل ما فيه من آلام وآمال، وكأن الشاعر هنا يلوح لقارئه ببارقة أمل أخرى فالنهاية حتمًا تعني وجود بداية جديدة، فالفلاح هنا يواسي نفسه بانتهاء اليوم بكل ما فيه، وكأن الشاعر يريد تجديد نظرة الأمل ويلح على نثرها في ألفاظه الشعرية، فهو هنا يقاوم الألم فينهي المشهد الشعري بنوع من التطهير لذلك اليوم الآثم الذي

(١) البياتي، الأعمال الشعرية الكاملة، ص١٠٢.

أكدته لفظة النعاس لأنها اقترنت بجفن الحداد الدامي؛ للدلالة على صعوبة العيش وقسوته أيضًا.

٣. التكرار

يعد عنصر التكرار من العناصر البارزة في تحقيق التماسك المعجمي؛ وذلك لمقدرته على الكشف عن أهمية الترابط والانسجام في مستوى النص الشعري، وقد اتكأ عليه البياتي في قصيدته محاولًا من خلاله إبراز سمات التماسك المعجمية، حتى أنه يحتل مساحة تعويضية لافتة عن تلك المحصورة التي يقتصر عليها كل من ثنائية الكلمات المتلازمة والتضاد، لتكون أداة مركزية فاعلة ومثرية في معنى النص.

ويُعنى التكرار بترديد اللفظة مرات عدة بغية تأكيد الحالة التي يبثها الشاعر في أسطر قصيدته، فهو من "الوسائل اللغوية التي يمكن أن تؤدي في القصيدة دورًا تعبيريًّا واضحًا، فتكرار لفظة ما، أو عبارة ما، يوحي بشكل أولي بسيطرة هذا العنصر المكرر وإلحاحه على فكر الشاعر"(١)، فيكون ذلك التكرار بمثابة علامة دالة على تحقيق مبدأ التماسك النصي من خلال تلك العلاقات المتبادلة التي تعطي للنص سمة التماسك والانسجام، حيث إن قاعدته الخطابية "تتطلب الاستمرارية في الكلام، بحيث يتواصل الحديث عن الشيء نفسه بالمحافظة على الوصف الأول أو بتغيير ذلك الوصف"(٢)، وكل ذلك بهدف تسليط الضوء

(١) زايد، علي عشرى، **عن بناء القصيدة العربية**، ط٤، القاهرة، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع، ص٥٨.

(٢) بوقرة، نعمان، **معجم المصطلحات**، ص١٠٠.

على الفكرة المقصودة، وتقوية معناها ولفت انتباه متذوق النص لها ولأهميتها.

ويظهر التكرار في القصيدة من خلال مفردات معجمية محددة تجيء محصورة بين (الشمس، الذباب، بائعة، السوق، يداي، حذاء، زرع، أكل)، فقد تكررت لفظة ذباب في آخر القصيدة بغية ربطها بأول السطر الشعري الذي تبتدئ به حيث إن اللفظة الأولى في قول:

والحمر الهزيلة والذباب

والسوق يقفر والحوانيت الصغيرة والذباب

يصطاده الأطفال(١).

تتكرر لفظة الذباب في السطرين الشعريين السابقين، بغية الربط بين أجزاء القصيدة، من خلال سطر شعري بآخره، أي لربط أول النص بآخره، مما يؤدي إلى إبراز سمة التماسك فيه، فاللوحة الأولى تبين حال القرية التي يشارك فيها الذباب الإنسان في الحياة اليومية، إلى جانب الحمر الهزيلة، حيث يختلف في مدلوله عن ذلك المدلول الذي جاء في آخر القصيدة، إذ يصطاده الأطفال وكأنه أداة للّهو اليومي، وللترويح عن قسوة الحياة القروية اليومية، وهذا من شأنه تكثيف المعنى المخبوء بين أجزاء القصيدة، وإظهار للغرض الذي يسعى الشاعر إلى إيصاله لقارئه الذي يشاركه هذه القصيدة.

كذلك الأمر، في تكرار لفظة نزرع/زرعوا/نأكل/يأكلون في قول البياتي:

والحاصدون المتعبون

(١) البياتي، **الأعمال الشعرية الكاملة**، ص١٠١-١٠٢.

زرعوا ولم نأكل

ونزرع صاغرين فيأكلون[١].

تتكرر الألفاظ المعجمية السابقة؛ لتشارك هي الأخرى في تحقيق التماسك النصي في القصيدة من خلال المفردات المعجمية (زرع/أكل)، فالنص هنا يزداد تماسكًا كلما تعمق القارئ في دلالاته المعجمية، التي تمهد لتثبيت التماسك الحاصل فيه، ويمكن استكناه الدلالة المتوارية خلف معجمية هذه الألفاظ من خلال دلالة الخير العميم لكنه يعود على الفئة المستغلة، وتبقى فئة الزارعين هي الفئة المقهورة التي حرمت من حق التمتع بهذا الخير.

ومن الألفاظ المكررة أيضًا، (بائعة)؛ حيث إن بائعات الكرم إنما تحيل إلى بائعات الأساور مما يعني الجمع بين صورتين متناقضتين من خلال ذلك التكرار الذي يسهم وجوده في تكثيف المعنى حيث يقول البياتي:

والحالمون الطيبون

وخوار أبقار، وبائعة الأساور والعطور

وبائعات الكرم يجمعن السلاسل[٢].

تتكرر لفظة بائعة في الأسطر الشعرية السابقة بين بداية القصيدة ونهايتها لترصد لوحتين مختلفتين لبائعة في سوق القرية، حيث الأولى تمثل الحال البسيطة التي يعيشها أبناء القرية فالبيع هنا لكسب الرزق ودرء الفقر عن حياتهن، فتمثل اللوحة ذلك القلق النفسي المضطرب الذي يلفهن، وفي السطر الآخر من

(١) البياتي، **الأعمال الشعرية الكاملة**، ص١٠١.

(٢) المرجع السابق، ص١٠١.

القصيدة يبين الشاعر حالة الأمل التي تعيشها تلك البائعات، فرغم بؤس العيش وصعوبة الحياة إلا أنهن حالمات، يتأملن مستقبلًا أفضل من التي عليها في حاضرهن، فيكون التكرار بذلك قد أسهم في تجويد النص باللفظة المكررة، لتكون فاعلة تؤدي وظيفة التماسك النصي في جسد القصيدة كاملة، بوجود لوحة شعرية تجمع المتناقضات، وتومئ بالتماسك في الوقت ذاته أيضًا.

وكذلك الأمر، في تكرار لفظة يد، ولفظة حذاء في قوله:

وحذاء جندي قديم

يتداول الأيدي، وفلاح يحدق في الفراغ

في مطلع العام الجديد

يداي تمتلئان حتمًا بالنقود

وسأشتري هذا الحذاء(١).

تتضمن الأسطر الشعرية تماسكًا نصيًّا يكمن في تكرار لفظتي (يد/حذاء)، وترصد خلال ذلك التكرار التحول في النص الشعري فاليد الأولى بائسة تمتلئ باليأس، تعتاد الفراغ واللاشيء، لا تستطيع سوى تداول ذلك الحذاء، لكنها في اللوحة الثانية متمكنة، تومئ بالتحول حيث لا تتداوله بل تمتلكه، فاليد الثانية تنفي صفة اليد الأول، مما يعني حدوث تماسك نصي قائم على تكرار اللفظتين معًا.

ومن التكرار أيضًا، تكرار لفظة السوق في قوله:

(١) المرجع السابق، ص١٠١.

والسوق يقفر[1].

تتكرر لفظة السوق في السطر الشعري السابق لتتعاضد مع العتبة النصية، ممثلة بعنوان القصيدة (سوق القرية)، وكأنها هنا تذكر بالهدف الذي جاء به البياتي في القصيدة وهو حال السوق، والذي تقوم عليه بنية النص كاملة، وتمنحه تماسكًا نصيًّا منسجمًا مع الغرض الذي قيلت من أجله، فالبياتي يبث من خلال تكرار تلك اللفظة الختامية الحال التي يؤول إليها السوق، فهو يقفر في نهاية كل يوم، وكأن هذا الأمر اعتيادي فيه، يتكرر مشهد الإقفار فيه يوميًّا، لكنه مع ذلك يتجدد أيضًا، فيكون قد طبع النص الشعري بطابع تكرار المشاهد في ذلك السوق، فيكون التكرار قد أسهم كغيره من عناصر التماسك المعجمي في تثبيت التماسك النصي على مستوى القصيدة كلها.

(١) السابق نفسه، ص١٠٢.

الخاتمة

بعد التطواف في قصيدة سوق القرية للشاعر عبد الوهاب البياتي، أمكن التوصل إلى النتائج الآتية:

- تميزت القصيدة بوجود التماسك النصي فيها، وذلك من خلال عرض عناصر التماسك النحوي، والمعجمي معًا.
- أكدت الدراسة أن عنوان القصيدة، كان له دور بارز في التماسك النصي فيها، فسوق القرية في العنوان هو ذاته الفاعل في أحداثها، الذي أدى إلى الترابط النصي من خلال الأحداث التي ارتبطت به.
- خلصت الدراسة إلى أهمية عناصر التماسك النحوي، ولعل أبرز تلك العناصر هو الوصل بالواو الذي غلب على هيكل القصيدة، وتثبتت معه فكرة التماسك النصي فيها.
- بينت الدراسة أهمية عناصر التماسك المعجمي، وتبيّن معها أن التكرار قد شمل أغلب القصيدة، وأثر في التماسك النصي وثبته فيها.
- إن سيطرة كل من التكرار والوصل على قصيدة البياتي بوصفهما أداتين للتماسك النصي على المستويين المعجمي والنحوي، أدى إلى التأثير على القصيدة، في حين لم تظهر العناصر الأخرى بذلك القدر من التأثير فيها، ورغم ذلك فقد ظهر التماسك على مستواها كاملًا.
- اعتمد البياتي على الوصف في القصيدة كلها، إلى جانب الحركة والتغير، مما يبرر وجود الجمل الاسمية وسيطرتها بالدرجة الأولى على هيكل القصيدة، لتتبعها الجمل الفعلية، فتثبت فكرة التماسك النصي فيها.

المراجع

المراجع العربية:

١. ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني (المتوفى٣٩٢هـ)، **الخصائص**، ج٢، ط١، تحقيق: محمد علي النجار، مصر، دار الكتب المصرية، ١٩٥٧م.

٢. أولمان، ستيفن، **دور الكلمة في اللغة**، ترجمة: كمال محمد بشر، ط١، القاهرة، مكتبة الشباب.

٣. بحيري، د. سعيد حسن، **دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة**، ط١، القاهرة، مكتبة الآداب، ٢٠٠٥م.

٤. ــــ، **علم اللغة النصي، المفاهيم والاتجاهات**، ط١، القاهرة، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م.

٥. بوقرة، نعمان، **المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية**، ط١، الأردن، جدارا للكتاب العالمي، ٢٠٠٩م.

٦. البياتي، عبد الوهاب، **الأعمال الشعرية الكاملة**، ط٢، بغداد، دار الحرية للطباعة والنشر، ٢٠٠١م.

٧. حسان، تمام، **البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني**، ط١، القاهرة، عالم الكتب،١٩٩٢م.

٨. حماسة، محمد، **بناء الجملة العربية**، ط١، القاهرة، دار الشروق، ١٩٩٦م

٩. خطابي، محمد، **لسانيات النص، مدخل إلى انسجام النص**، ط١، لبنان، المركز الثقافي العربي، ١٩٩١م.

١٠. خليل، إبراهيم، **الأسلوبية ونظرية النص**، ط١، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٧م.

١١. الخولي، محمد علي، **معجم علم اللغة النظري**، ط١، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٨٦م.

١٢. زايد، علي عشري، **عن بناء القصيدة العربية**، ط٤، القاهرة، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع.

١٣. الزناد، الأزهر، **نسيج النص، بحث فيما يكون به الملفوظ نصًّا**، ط١، بيروت، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٧م

١٤. شاوش، محمد، **أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تأسيس نحو النص**، ط١، تونس، المؤسسة العربية للتوزيع، ٢٠٠١م.

١٥. شبل، عزة، **علم لغة النص**، ط٩، القاهرة، مكتبة الآداب، ٢٠٠٢م.

١٦. الشريف الجرجاني، **الحاشية على المطول، شرح تلخيص مفتاح العلوم (غي علوم البلاغة)**، ط١، لبنان، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧م.

١٧. شيخون، محمد السيد، **أسرار التكرار في لغة القرآن**، ط١، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٨٣م.

١٨. عفيفي، أحمد، **نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي**، ط١، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، ٢٠٠١م.

١٩. علام، عبد الواحد، **القاعدة والنص، دراسة في الفصل والوصل**، ط١، القاهرة، دار الثقافة العربية، ١٩٨٧م.

٢٠. أبو عيد، محمد، **تطور أدوات الاتساق النحوي والمعجمي في الخطاب الشعري العربي، عبد الوهاب البياتي نموذجًا**، رسالة دكتوراه، الأردن، جامعة اليرموك، ٢٠٠٢م.

٢١. الكبيسي، عمران، **لغة الشعر العراقي المعاصر**، ط١، الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٨٢م.

المراجع الأجنبية:

Brown And Yule**, Discourse Analysis**, Cambridge University Press, 1983,P194